

4

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



الخنزراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى

1988 م.

حقوق الطبع محفوظة

للمركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

. هاتف: 40705 - 45565 - مبرق: 20032 - 20668

ص.ب: 80984 - طرابلس - الجماهيرية

قال الابن لأبيه : غريبٌ أمر أبى الذهب
هذا، إنه كما يقال، كالهرة ذو سبعة أرواح
تقتل روح الاستغلال فيه فى المصنع،
فتظهر فى البيوت، يطرد من البيوت
فنسمعه يتوعد الناس بالويل والثبور
وعظائم الأمور. . .

ضحك الأب وأجاب : أبو الذهب بلا
روح، إنه شيطان تمتلىء نفسه بالشهوات

والنزوات، الاستغلال، والطمع،
والجشع، الربح والمال، السيطرة على
خبز الآخرين الكذب والرياء، وستبقى
روح أبى الذهب تنبض فى جسده، روح
الجشع والغيرة طالما بقى المال موجوداً
على الأرض... إنه كمن يشرب ماءً
مالحاً، فكلما شرب، كلما ازداد عطشاً.

ضحك الابن وقال: الآن عرفت لماذا
أطلق أجدادنا على هذا الرجل اسم أبى
الذهب وعرفت الآن أيضاً لماذا سمّوه
الغول، واستدرك الابن قائلاً: فى القصة
الأخيرة أخبرتنى أن أبا الذهب توعد الناس
بقوله: لن يفلت أبناء الخضرء من
يدى... فماذا فعل؟

أجاب الأب: كان مما كان فى سالف
الزمان، كانت الخضرء...

عاد صوت الطاحونة يمزق سكون الليل
فى الخضراء وحتى ساعات الفجر
الأولى... كان أهالى الخضراء قد
اعتادوا صوت الطاحونة فى ساعات النهار
ولكنهم لم يتعودوا هذا الصوت فى الليل
فى تلك الليلة لم يستطع معظم أهالى
الخضراء الاستسلام للنوم إلا بعدما هدا
صوت الطاحونة.

سيّارات محملة بالقمح والشعير تصل
إلى الطاحونة، تفرغ حمولتها وتعود
محملة بالطحين وأبو الذهب نفسه يشرف
على العمل بهمة ونشاط...

تحول ليل الخضراء الساكن الهادئ
إلى جعجعة وقرقعة. أهالى الخضراء
هجرتهم الأحلام الجميلة الهادئة الملونة
وسكنتهم الأحلام المفجعة والكوابيس...

ذات ليلة أفاق أحد سكان الخضراء على زوجته وهى تصرخ: أرجوك... أرجوك لا ترمه فى المطحنة... يا ناس... يا ناس ساعدونى ، امنعوه من رمى طفلى فى الطاحونة ، وعندما أفاقت المرأة من نومها قالت: الحمد لله ، لقد كان كابوساً... سألتها زوجها: لِمَ كنتِ تصرخين؟ أجابت الزوجة: رأيت فى المنام أن أبا الذهب يمسك بطفلنا الصغير من رجليه ويهم بإلقائه فى الطاحونة.

بعض أهالى الخضراء ممن عرفوا أبا الذهب بدأ يساورهم الشك فى سلوكه. قال أحدهم لجاره: لا أعرف ما هى المكيدة الجديدة التى يحيكها أبو الذهب لأهالى الخضراء. وأضاف: لا أدرى ما هو سبب عودة أبى الذهب إلى الطاحونة؟! لا بد أنه



يحيك لنا مؤامرة جديدة، وينصب شركاً
جديداً...

أجاب الجار: أصبح غريباً أمر أهالي
الخضراء، فلو رأوا أبا الذهب يمد حبلًا
لإنقاذ غريق لقالوا: إنه يمدُّ له أفعى، ولو
أضاء أبو الذهب أصابعه العشر مصابيحاً
فى سبيل أبناء الخضراء لقالوا: أبو الذهب
أطفأ النور من عيوننا... ولو قدّم
أبو...

قاطع الرجل وقال: الناس على حق
فيما يذهبون فيما يتعلق بسلوك أبى الذهب
والمؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين...

ربما تاب الرجل عن ذنوبه، وأقلع عن
عاداته القديمة، عاد إلى الطاحونة ليكفر
عن ذلك. دعوا الرجل وشأنه... قال
الجار هذا بتدمير وضيق.

تنهد الرجلُ ووضع يده على جبينه،
أطرق لحظةً وأجاب: أبو الذهب لا
يتوب، الاستغلال في دمه، أنا خائف من
أبى الذهب، أنا لا أرتاح إلى هذا الشيطان
الرجيم...

لم يمض وقت طويل حتى عرف أهالي
الخضراء سبب عودة أبى الذهب إلى
الطاحونة، فقد القمح من الأسواق، اشتراه
أبو الذهب، وحوّله إلى طحين، وعنده
فقط يوجد الطحين وبأسعار باهظة.

صحيح ما قلته يا جار: إنه شيطان
رجيم. قال الرجل هذا الكلام بعدما
اكتشف مكيدة أبى الذهب.

نادراً ما كان يظهر أبو الذهب في

شوارع الخضراء، كان يقضى معظم أوقاته
متنقلاً بين الحقول، وإن حضر إلى
المكتب كان يغلق باب المكتب لساعات
يقضيها مع مدير أعماله مرتزق.

ذات يوم قال أبو الذهب لمرتزق: هل
تعرف من هو عدونا فى الخضراء.

أجاب مرتزق: إنهم عمال المصنع
الذين حرّضوا أخوانهم على التمرد.

ضحك أبو الذهب بخبث ورفع رأسه
بعدما زم شفتيه باشمئزاز وقال: انتهينا من
المصنع وعمّاله، والبيوت وساكنيها، أنا لا
أهتم لعداوة شخص أو عدة أشخاص أعلم
يا مرتزق، إن عدونا الحقيقى هو أهالى
الخضراء مجتمعين. هذا هو العدو الذى
يخيفنى أن يكون الناس ضدى مجتمعين،

هنا تكمن الخطورة، أما أن يكرهنى
الجميع كأفراد فهذا لا يهمنى .

كانت ملكية معظم الأراضى الزراعية
فى الخضراء قد تحولت لأبى الذهب،
اشتراها من العمال بعد أن احتاجوا المال
لسد حاجاتهم، ومن المستأجرين الذين
اضطروا لبيعها لتسديد إيجارات منازلهم،
أو ليشتروا البيوت التى كانوا يسكنونها . . .
والأراضى التى بقيت ملكاً لأبناء الخضراء
لم تكن تكفى لإشباع حاجاتهم جميعاً من
الحبوب والخضار والفواكه .

كان آخر بناء بناه أبو الذهب، لا يمت
إلى الأبنية التى عرفتها الخضراء
بصلة . . . مستودعات مخروطية الشكل،
إنها مستودعات للحبوب، بعد ذلك حوّل
أبو الذهب مستخدميه فى أعمال البناء إلى

العمل فى زراعة الأرض، كما استورد
حاصدات حديثة تستطيع القيام بأعمال
الحصاد والدرس وتنوب عن عشرات
العمال.

قرر أبو الذهب زراعة جميع الأراضى
التي يسيطر عليها قمحاً. دون غيره
من الحبوب والخضار. . . وكان الموسم
خصباً. كانت سيقان السنابل تفوق الرجل
طولاً، قبيل الحصاد فكانت الخضراء
أثناء النهار كبخيرة من الذهب، وفى
الليالى المقمرات كانت تظهر كواحة من
الفضة. . . كانت وليمة الخصب تحمل
الكثير من الإغراء والسحر، وإغراء الطبيعة
وسحرها لا يقاومان. الخصب ينادى
البشر: تعالوا إلىّ، أنا أمكم الأرض.

استجاب بعض شباب الخضراء لنداء

الأرض، حملوا مناجلهم وركضوا نحو الحقول يريدون الحصاد...

* لسنا بحاجة إلى حصّادين، بهذه العبارة بادر أبو الذهب الشاب.

* أجاب أحدهم: نريد العمل من دون أجر، من دون أى مقابل، نريد العمل كمتطوعين، ثم انهال شاب بمنجله على رؤوس السنابل، وبدأ الحصاد.

* تقدم أبو الذهب نحو الشاب وأمسكه من كتفه وقال له: لا أريد مساعدتك ولا مساعدة غيرك، إذهب واحصد فى حقلك.

* لا أملك أرضاً أحصدها، أجاب الشاب.

* إذهب واحصد الزوابع التى رزعها

والدك بثورته فى المصنع... بهذه
العبارة أجاب أبو الذهب.

* قال الشاب: صحيح أنك اشتريت
الأرض من والدى، ولكنك لم تشتري
ذكريات الناس مع أرضهم لم تشتري
ذكرياتى عندما كنت طفلاً أحبو فوق
تراب هذه الأرض... ثم التفت إلى
أصدقائه وألقى منجله فوق صخرة
فتطايرت شرارات من النار.

التفت مرتزق إلى سيده أبى الذهب
وسأله: لماذا لم تسمح لهم بالعمل، قالوا
بأنهم سيقدمون عملهم مجاناً.

ضحك أبو الذهب بخبث وقال: إسمع
يا مرتزق، كان هذا الرجل يقول: إننا
اشترينا الأرض ولم نشتر ذكريات الناس
مع أرضهم، فلو عمل الآن فسيقول فى

المستقبل: أريد حصتي من الإنتاج، فقد قال أبوه قبله فى المصنع هذا الكلام. لا أريد تحقيق رغباتهم بقاء ذكرياتهم، وعلى أى حال، ستبقى الأرض لى ولتبقى لهم ذكرياتهم... وستبقى أرواحهم فى يدى... وأضاف بعدما بدا كذب أوقع فريسته وبدأ يتهماً لالتهامها: هل تعلم أن أرواح أبناء الخضراء، خبزهم جميعاً، النساء والرجال فى جيبي هذا.

لم يفهم مرتزق قصد أبى الذهب، فمدّ أبو الذهب يده بخبث إلى جيبه وأخرج مفتاحاً وقال: هنا أصبح خبز أبناء الخضراء... هنا أصبحت أرواحهم، إنها فى مخزن الحبوب والمفتاح فى جيبي...

حقول الخضراء واحة من الذهب
أرضها بحيرة من الفضة
السنابل انحنى تواضعاً لأنها ملأى
«أبو الذهب» انتفخ زهواً لأنه فارغ
قالت الفراشة هذه الزهرة لى ، اغتالها
أبو الذهب.

قال العصفور: هذا الغصن منبر
للحرية. . . قطعه أبو الذهب.

قالت النحلة: رحيق الزهرة لى ، صادر
أبو الذهب كل الزهور.

قالت غادة الخضراء. . . هذه الوردة
لحيبى ، أعدم أبو الذهب كل الورود.
وقال: أنا أكره الحب.

عاد صوت الطاحونة يغتال صمت الليل
في الخضراء... إسمع جعجعة ولا
أرى طحيناً هذه العبارة قالها أحد أبناء
الخضراء، عندما رجع إلى بيته خالي
الوفاض، ولم يستطع الحصول على
الطحين... صارت تلك العبارة مثلاً...
جعجعة الطاحونة تؤرق ليل أهالي
الخضراء وهم لا يجدون الطحين...
ارتفعت أسعار الطحين وأصبح يباع في
السوق السوداء. عانى أهالي الخضراء من
عدم وجود الخبز، وقد ألحّ طفل على أمه
في طلبه، سُمعت الأم تحكى لطفلها هذه
القصة... «كانت حبة ثم صارت سنبله،
مجموع السنابل أصبح حقلاً. حصد
الحقل، أبو الذهب، سجن الحقل في
مخزن الحبوب، مفتاح باب المخزن في
جيب أبي الذهب، اشتاقت نملة للحقل،

تسللت من ثقب باب مخزن القمح،
سحبت حبة وخرجت... ثم عادت
وسحبت حبة ثانية... وثالثة ورابعة...
وخامسة وو... ظلت تسحب حتى
زرعت النملة حبات القمح، كبرت
الحبات وصارت سنابل، حصدت النملة
السنابل ثم طحنتها، عجنت النملة
الطحين، صنعت منه خبزاً شهياً، حملت
الخبز إلى أولادها... قالت لابنها
الصغير: هذا لك، أكل ابنها حتى شبع
... ونام نام شبع ونام».

سئل أبو الذهب مرّة: لماذا لا تزرع
الطماطم فأجاب: الطماطم سلاح
استعمله أطفال الخضراء ضدي، ضربوني به
وشعرت وكأن دمي يسيل من سائل الطماطم
الأحمر... سأجعل أهالي الخضراء يشتهون

الطماطم ويتذكرون دائماً تلك الإهانة التي وجَّهوها إلىّ .

عامٌ يشح فيه القمح، وآخر يشح فيه الشعير، وثالث تشح فيه الثمار والخضار والطماطم ممنوعة، إنها من المحرمات... وأسعار المنتجات الزراعية في ارتفاع مستمر، حتى أن أهالي الخضراء بدأوا يصنفون السنوات من خلال الأزمات التي مرت بهم، فقد سموا إحدى السنوات عام التمور وسموا سنة ثانية عام الشعير. وهذا العام أطلقوا عليه اسم عام «القلّة» بسبب قلة الغلال على اختلاف أنواعها.

في عام التمور احترقت معظم أشجار النخيل في الخضراء. بعض أهالي الخضراء اتهموا أبا الذهب بإحراق بساتين

النخيل وقالوا بأنه كان يختزن كمية كبيرة من التمر في مستودعاته، وأراد رفع أسعارها فأحرق النخيل وفي عام القمح رفع الأسعار إلى حد لا يطاق، بحجة زيادة أجور العمال وتكاليف صيانة آلات الحصاد... وهذا هو عام القلة...



ترك أبو الذهب كل الأراضي بوراً، لم يحرقها ولم يزرعها وعندما سأله مرتزق عن سر ذلك، قال أبو الذهب: لِمَ الحرث والزرع. هناك فائض من الغلال بقي من موسم العام الماضي، لست بحاجة إلى المزيد من الغلال، فلو كثرت الغلال لتدنت أسعارها، أما إذا كانت الغلال قليلة فإنني أتذرع بذلك وأرفع أسعارها، وفي جميع الحالات، سأحصل على الربح

نفسه، وأوفر أجرة العاملين من دون أن
أبذل جهد... وأضاف أبو الذهب: ما
يهمنى هو الربح وسواء لدى إن كان
الموسم خصباً أو قاحلاً، فى الحاليتين
سيدفع أهالى الخضراء الثمن.

أطرق مرتزق قليلاً ثم رفع رأسه وقال
بصوت منخفض: الآن عرفت السر
والحكمة من إحراق بساتين النخيل.

ترك أبو الذهب الأراضى بوراً، خبر
تناقله أهالى الخضراء بصمت وحذر...
لما يخطّط من وراء ذلك؟ سؤال كان على
كل شفاه من فى الخضراء!!

سأتدبر أمرى هذا العام، عبارة قالها
كل واحد من أبناء الخضراء لنفسه.

أقبل الربيع واكتظت الحقول
بالأعشاب، كان فرح الرعاة كبيراً،

فالمرعى واسع وخصب هذا العام . كانت مفاجأة كبيرة للرعاة، عندما رأوا الأراضي التي سيطر عليها أبو الذهب محاطة بسور من الأسلاك الشائكة، وكانت دهشتهم أكبر عندما قرأوا لافتة تحمل عبارة: يمنع دخول هذه الأرض قبل مراجعة صاحبها .

لم يعر الرعاة أى اهتمام للافتة أبى الذهب، فبدأوا بإزالة الأسلاك ودخلت القطعان إلى المرعى الخصب، قال أحد الرعاة لصديقه مماًزحاً... قطعانى لا تجيد القراءة، ثم التفت إلى مجموعة من الحمير ظلت منهمكة بالمرعى خارج الأسلاك وأضاف: الحمير وحدها عملت بأوامر أبى الذهب، إنها لم تدخل إلى أرضه .

أبو الذهب ومرتزق كان يصطدان الطيور، دهش مرتزق عندما رأى سيده

يطلق النار على العصافير الصغيرة ذات
الأصوات الجميلة فيردها ويتركها جثثاً،
يقتلها من أجل القتل فقط... سأل
مرتزق: لماذا تقتل هذه الطيور يا سيدي؟
نظر أبو الذهب إلى مرتزق وأجاب: أكره
أصوات تلك الطيور، فهي عندما تغنى
تذكرنى بالفرح والفرح يذكرنى بأهالى
الخضراء، سأمنع هؤلاء من أى شيء
يدخل الفرح إلى قلوبهم لو أستطيع
لأطفأت الشمس وخبأت القمر فى بئر
عميق... لو استطعت لقتلت كل البلابل
والعصافير، كل الفراشات ولأعدمت
الورود، والزهور وقطعت أيدي كل
العشاق والمحبين، لو استطعت لخنقت
كل الأصوات الجميلة.

توقف أبو الذهب عن الكلام، فقد
ترامى إلى سمعه صوت جميل، قاتل فى

جماله، أحد الرعاة ينفخ فى مزماره لحناً
شجياً، والرعاة ينشدون أغنية جميلة
عذبة... كان أبو الذهب يتلظى حقداً،
فقال لمرتزق، أسرع نحو هؤلاء الأوباش،
سألقتهم درساً لا ينسى، من سمح لهم
بالدخول إلى أرضى؟.

قبل أن يتمالك أنفاسه صرخ أبو الذهب
فى وجه الرعاة: من سمح لكم بالدخول
إلى هذه الأرض، أيها الجهلة الأوباش،
ألم تقرأوا اللافتة؟ لم يجبه أحدٌ على
سؤاله، بل تابعوا العزف والغناء.

تحول أبو الذهب إلى ذئب جائع وأنزل
بنديقيته من على كتفه وصرخ بلهجة آمرة:
أنتم يا بجم يا أوغاد، هياً تكلموا، أم أنكم
جميعاً صمُّ بكم... وأنت وأشار إلى
العازف وأضاف: لم أطلب إليك الغناء

فى أرضى ، اذهب واعزف على مزمارك
فى جهنم.....

توقف الراعى عن النفخ فى مزماره
ونظر إلى أصدقائه ضاحكاً وقال : لا أعزف
لك ولا لأمثالك ، بل للقطعان ، فهى تزداد
شهيتها عندما تسمع اللحن الجميل ، نعم
يا أبا الذهب للنعجة عاطفة ، والبقر لها
عواطفها أيضاً ، أنظر إلى ذلك البعير ، إنه
توقف عن الرعى ، وها هو ينظر نحونا . .
كل الكائنات تحس يا أبا الذهب ، إلا أنت
لأنك لست من خلق الله سبحانه ، إنك
صنيعة الشيطان .

تدخل مرتزق وقال للراعى ساخراً :
عرفنا أن قطعانك تعلمت الموسيقى فى
المعاهد الأوروبية فهنيئاً لك بها ، فليس
هذا موضوعنا الأساسى ، موضوعنا : من



سمح لكم بالرعى فى هذه الأرض، ثم أشار إلى أبى الذهب وقال: هذا صاحب الأرض وله الحق فى كل ما عليها، سواء كان حيواناً أو خضاراً أو أشجاراً أو حشائش، وإن شئتم الرعى فعليكم أن تدفعوا ثمن الحشائش. لا يوجد شىء من دون ثمن.

ضحك أحد الرعاة وكان معروفاً بالسخرية وقال: حسناً ما نقول، كل شىء له ثمن سنطالبك بثمان روث القطعان وسمادها خلال عشرات السنين، أو أن نتقاىض واحدة... بواحدة.

جواب الراعى أحدث صدمة لأبى الذهب فصرخ بأعلى صوته: أنت قليل الأدب. رفع الراعى عصاه وهزها... لكن صديقه أمسكه من يده، وتوجّه إلى أبى الذهب قائلاً: إنك تريد ثمن الأعشاب، لا بأس فمتى ستطالب بثمان

الهواء الذى يستنشقه الناس، متى ستمنع
الطيور من التحليق فوق أرضك، نعرف
أن لقبك أبو الذهب فمنذ متى أصبح لقبك
«أبو حشيش».

أحدثت الكلمة الأخيرة عاصفة من
الضحك بين الرعاة فثارت ثائرة أبى
الذهب وصرخ بأعلى صوته: أخرجوا
وقطعانكم من هنا، عليكم أن تحترموا
القوانين الأرض وما عليها ملك لى...
الحجارة... التراب الحشائش... كل
شئ لى..

أجاب أحد الرعاة: أى قوانين هذه التى
تحدث عنها، قانوننا نحن هو السيد.
قانون الطبيعة قانوننا: الناس شركاء فى
ثلاث الماء والهواء والمرعى... والأرض
ليست ملكاً لأحد، إنها باقية ونحن
زائلون، أعرافنا أهم من قوانينك...

عدل أبو الذهب وضع بندقيته بإشارة
تم عن التحذير والاستعداد وزم شفتيه
وفغر فمه وكشر عن أسنان بدت وكأنها
أسنان ذئب جائع وصرخ من أعماقه:
ستخرجون أمواتاً إن لم تخرجوا أحياء...

كانت كلاب الرعاة قد عادت من
مطاردة ذئب حاول الاعتداء على
القطعان، وعندما رأى أحدها صورة الذئب
على وجه أبى الذهب، وما ينم بجركاته
عن عداء لصاحبه اهتدى الكلب بغريزته
إلى الذئب فى نفس أبى الذهب، فهجم
عليه وبدأ ينهشه فى أنحاء جسمه...
انطلق صوت عيار نارى، فقد أطلق مرتزق
النار على الكلب وأرداه.

عندما رأى صاحب الكلب ذلك، رفع
عصاه وهوى بها على رأس مرتزق، خرَّ

مرتزق إلى الأرض جانب جثة الكلب
و... ارتبك أبو الذهب ووجهه بندقيته نحو
الراعى، لكنه قبل أن يضغط على الزناد،
تلقى حجراً أفقده توازنه، أطلق النار
أصاب أحد الرعاة بيده... حجر آخر
أصابه، فقد توازنه، وبدأت العصي ترتفع
وتهوى....

على حمارين أعرجين، كان أبو الذهب
ومرتزق قد حملا إلى بيتهما، كسرت يد
مرتزق، وكسرت رجلا أبو الذهب،
وعندما سئل الرعاة عن سبب جراح
الرجلين أجابو: أطلقوا النار على أحدهما
وقمنا بالدفاع عن أنفسنا....

ازدادت نقمة أبى الذهب على أبناء
الخضرء، فتمادى فى جورهِ وطغيانه، زاد



أسعار الحبوب أضعافاً، وانقص كمية
الحبوب المعروضة للبيع كثيراً، ولحد لا
يكفى جميع السكان، مما زاد الطلب على
المواد الغذائية، فارتفعت الأسعار،
وزادت أرباح أبى الذهب القابح فى بيته لا
يستطيع الخروج إلاّ محمولاً على حمالة
كأنها «النعش».

ذات يوم دخل مرتزق على سيده وقد
بدا عليه الحزن، سأله أبو الذهب عن
سبب حزنه فأجاب مرتزق: بدأت
الحشرات والفئران تفتك بالحبوب، قسم
كبير أصيب بالتلف والفساد.

تحسس أبو الذهب إحدى رجله،
بعدما صدرت عنه أنة وقال: هذا الأمر
بسيط ولا يبعث على الحزن، بالعكس
هذا الخبر بعث السرور فى نفسى، بكل

بساطة يا مرتزق: من الغد تبدأ بعرض
الحبوب الفاسدة للبيع، وسيشتريها الناس
مرغمين... ومن أراد الاعتراض على
ذلك، فليبحث عن الحبوب في بيوت
النمل... ثم أمسك مفتاح مخزن
الحبوب وأطلق ضحكة هستيرية وصرخ
بأعلى صوته: هنا... هنا توجد أرواح
أبناء الخضراء... أرواحهم في مخزن
الحبوب.

الحبوب فاسدة... التمور فاسدة خبر
انتشر في الخضراء... هذا ما لدينا، قال
مرتزق هذا لكل من اعترض على نوعية
الحبوب والتمور...

ماذا أفعل؟ سؤال وجهه كل واحد في
الخضراء إلى نفسه منفرداً، لم يوجهه
لأبناء المحلة، أو لأصدقاء... بقي
السؤال مفرداً والجواب كذلك... وأخيراً

أذعن معظم الناس لإرادة أبى الذهب...
واشتروا تلك الحبوب.

أعجب لمن ينام ليلته جائعاً ولا يخرج
شاهراً سيفه للناس.

أبو الذهب = أبو الاحتكار = الشيطان =
الغول.

أبو الذهب يطعم الناس فضلات
الحشرات.

أبو الذهب سرق الأرض لتركها بوراً.

هذه الشعارات وغيرها، كتبت على
جدران منازل الخضراء، وعندما وصلت
أخبارها مسامع أبى الذهب قال لمرتزق:
سأحرق مخزن الحبوب.

إن فكر أهالى الخضراء بالوصول
إليه... سأجعلهم يموتون جوعاً هذه

المرة. أهالى الخضراء، أعجبوا كثيراً بما كتب، هذا صحيح، عبارة ردّها الجميع.

قالت إحدى النساء لجارتها: ماذا يقول زوجك عن الحالة التى وصلنا إليها جميعاً، أجابت الجارة: يقول إن الحالة لا تطاق، وعلينا أن نقوم بعمل ننقذ به كرامتنا... أبو الذهب يستهين بكرامتنا... إننى أشعر بالإهانة كل يوم... ردّت المرأة قائلة: وزوجى يقول الكلام نفسه، لكنهم جميع الرجال لم يفعلوا شيئاً حتى الآن... وفى المساء وصل محتوى الكلام إلى جميع الرجال فى الخضراء.

فى ساحة الخضراء ألقى أحد الرجال كيساً من القمح نثره على الأرض، وصاح

تعالوا يا أهل الخضراء وانظروا الحبوب
التي تأكلونها مع أطفالكم، أم أنكم
تعرفون أنها فاسدة لا تليق حتى
بالحيوانات، ومع ذلك بقيتم صامتين لا
تنطقون بأى كلمة احتجاج، تعالوا
وانظروا... إنها مليئة بالعفن وكل أنواع
الحشرات. الفئران والجرذان والنمل
تعبث في مخزن الحبوب ونحن نشتهي
الخبز الأبيض النظيف، الرعاية أخذوا
حقوقهم بعصيتهم والنمل يأخذ حقه
بصغره، والفئران أخذت نصيبها وتعبث
بنصيبنا فساداً، ونحن أبناء الخضراء متى
سنأخذ حقوقنا ونسترد كرامتنا وحققنا، هل
سنتنظر الساعة التي نرى فيها أطفالنا
يموتون جوعاً ومرضاً إننا نقف أمام مخزن
الحبوب كالمسولين رغم أننا ندفع مالنا
وعرق جباهنا، ثمن ما نأخذ، لكن أبا

الذهب يصر على أن يأخذ كرامتنا
ومالنا... وتابع الرجل حديثه بلهجة
واثقة:

حتماً سيبقى سيف التجويع والإذلال
مسلطاً فوق رقابنا، نتحدث عمّا فعله
أباؤنا وأجدادنا، ولم يسأل أحد منا نفسه:
ماذا فعلت وماذا أفعل؟ نمنا على حرير
انتصارات أبائنا وأجدادنا فى الماضى،
لقد كان لنا ماضٍ مجيد، ولكن حاضرنّا
سوء، وربما كان مستقبلنا أسوأ من
حاضرنا إن بقينا خائفين... ثم
وقف رجل آخر وقال: الرجل على حق
فيما يقول، كل منا يعرف الحقائق التى
قالها، لكننا نخجل من قولها، نرى عيباً أن
نعلن أننا محتاجون، أو جياع، نخجل
(نستحي، من جيراننا، وجيراننا يستحون
منا، والجوع وأبو الذهب لا يخجلان...)

ثم تكلم رجل ثالث وأضاف: كثيراً ما
فكرت بإعلان غضبي لكن الخجل كان
عائقي... عاد الرجل الأول إلى الحديث
وقال: لماذا لا يخجل أبو الذهب عندما
يطعمنا الحبوب الفاسدة، كيف لا يخجل
الظالم من ظلمه ويخجل صاحب الحق
بالمطالبة بحقه؟؟!! هيّا جميعاً إلى بيت
أبي الذهب...

سار أهالي الخضراء إلى بيت أبي
الذهب...

أخرج أيها السارق، أخرج أيها
المرتزق، أخرج يا أبا الذهب، يا أبا
اللؤم.

الناس يزحفون نحو القصر، وفي حالة
هياج وغضب، السماء تمطر غضباً يا
سيدي... كان مرتزق يتحدث

بخوف... وها هو صوت الجماهير
يقترّب... أبو الذهب يسمع الشتائم
الموجهة إليه... قال لمرتزق:

هذه المرة يبدو الأمر صعباً، لا يحتمل
الكثير من الأخذ والرد، الناس جياع يا
مرتزق والجوع كافر.

* ماذا نفعل إذن يا سيدى؟ سأل
مرتزق....

أجاب أبو الذهب: عندما يصل الناس
إلى باحة القصر، قل لهم إن أبا الذهب
مستعدٌ لتلبية جميع مطالبكم. يجب
استيعاب الناس فهم فى حالة هياج
وغضب... غضب الجميع هو ما أخاف
منه... وكان الذى خفت أن يكون....

أخرج يا أبا الذهب... أخرج أيها
المرتزق... أصوات انطلقت من مسافة

قرية... كان بعض زبانية أبى الذهب يحاولون منع الناس من الدخول إلى القصر... وعندما رأى مرتزق ذلك صاح بأتباعه: دعوا الناس يدخلون افتحوا الأبواب للناس يا أوغاد... ادخلوا يا أبناء الخضراء... قصر أبى الذهب لكم جميعاً...

قال أحد أبناء الخضراء: هل جنُّ مرتزق؟ وقال آخر: يا للعجب، العسل يخرج من فم الثعبان.

صرخ مرتزق بأعلى صوته: أخواني أبناء الخضراء، إن سيدى أبا الذهب مستعد لتلبية مطالبكم مهما كانت... قاطعه رجل وقال: نريد تخفيض الأسعار وحبوباً غير فاسدة، ثم تكلم رجل آخر وقال: نريد الإشراف على مخزن الحبوب

لن تبقى أرواحنا بين أيديكم أنت
وسيدك... فمرة تقولون: القمح مفقود
ثم تقولون، التمور مفقودة، رغم أن
الحبوب والتمور موجودة بوفرة.

وقف رجلٌ ولَّوْحٌ بيده في وجه مرتزق
وصرخ: اسمعوا يا أخواني، المسألة
ليست مخزن الحبوب، المسألة في
الأساس، قد يعطيكم أبو الذهب المخزن
وما فيه من الحبوب، ويحتفظ لنفسه
بالمخزن الكبير الذي لا ينضب، أعنى
الأرض مصدر الحياة... فما دام أبو
الذهب يسيطر على الأرض، فلن نكون
أحراراً... الأرض لمن يزرعها...

دهش مرتزق من كلام هذا الرجل،
لكنه تجاهله وقال بلهجة ماكرة:

* قلت لكم... أبو الذهب مستعد

لتلبية جميع مطالبكم، يؤجركم الأرض
التي اشتراها منكم، يبيعكم الأرض إن
شئتم...

قال الناس بصوت واحد: الأرض لنا
أساساً، والأرض لمن يزرعها الأرض لا
تباع ولا تشتري... إنها باقية وستبقى
مكانها...

انطلق صوت أبي الذهب: قل لهم يا
مرتزق إننى موافق، موافق على كل ما
يطلبونه، قل لهم هذا واذهب ونفذ ما
اتفقنا عليه سابقاً... ثم التفت أبو الذهب
إلى الخدم وقال: احملوني إلى الشرفة.

على شرفة القصر جلس أبو الذهب وقد
طفح وجهه بالبشر والفرح ثم بدأ كلامه:
أخوانى وأحبائى أبناء الخضراء، بإمكانكم
التصرف بكل ما أملك، الأرض والطاحونة

ومخزن الحبوب، أنا منكم وإليكم، بل
هى منا وإلينا، الأرض منا ومخزن الحبوب
والطاحونة.

تابع أبو الذهب بعدما رسم ابتسامة
عريضة: كما تشاؤون هى منكم وستعود
إليكم، لكننى أريد أن أوضح لكم شيئاً،
لكى لا أكون متهماً بما حصل خلال
قعودى فى البيت، بسبب الكسور التى
أصبت بها، سمع أحدهم يقول: لا ردك
الله

وتابع: أخوانى أبناء الخضراء، هذا
اليوم بالذات عرفت ما فعله مرتزق أخبرنى
مساعدى مرشد عن كل الأفعال التى قام
بها مرتزق، عن رفع أسعار المواد الغذائية
والحبوب الفاسدة، هذه الأمور جميعها
حصلت من دون علمى. مرتزق هو

المسؤول عن كل هذه الأعمال السيئة،
فى كل مرة كان مرتزق المسؤول وكنت أنا
المتهم، سامحونى يا أهالى الخضراء، يا
أختى هذا البيت لكم إذا شئتم أيضاً...
أين أنت يا مرتزق، أنت مطرود من
خدمتى، تعال واعترف أين مرتزق يا
مرشد، قال أبو الذهب الكلمات الأخيرة
بحركات تمثيلية بارعة.

أجاب مرشد: اختفى مرتزق يا
سبدي...

صاح أبو الذهب: اتبعوا مرتزق،
أدركوه قبل فوات الأوان ذهب لإحراق
مخزن الحبوب، إنه شيطان رجيم.

أحد أبناء الخضراء وكان يدعى محمود
قال بصوت عالٍ: لا أكاد أصدق ما أسمع
لا يغرنكم ملمس أبى الذهب الناعم.

إن الأفاعى وإن لانت ملامسها
عند القلب فى أنيابها العطب

كان الحريق فى بدايته، سيطر الناس
على الحريق، أمسكوا بمرتزق... قال
مرتزق: صدّقونى يا ناس، أنا عبد مأجور
أنفذ أوامر سيدى...

لن يصدقك أحد، لقد ضبطت بالجرم
المشهود...

منذ ذلك اليوم، اختفى مرتزق من
الخضراء، سافر إلى بلاد بعيدة، قتل فى
ظروف غامضة لا أحد يعرف.

معظم أهالى الخضراء وضعوا اللائمة
على مرتزق، وقالوا: سبحانه الله لقد تغير
أبو الذهب... عاد محمود وردد بيت
الشعر:



إن الأفاعى وإن لانت ملامسها
عند القلب فى أنيابها العطب

أما أبو الذهب فقد كان يقول فى سرّه:
إن كنت تحسب يا محمود أن يدي
قصيرة عنك فالأيام تنقلب

إن الأفاعى وإن لانت ملامسها
عند القلب فى أنيابها العطب

ذات يوم سأل مرشد أبا الذهب: لماذا
أنكرت معرفتك بما كان يجرى فى
الخضراء، وعدلت عن رأيك بإحراق
مخزن الحبوب يا سيدى...

ضحك أبو الذهب بخبث وأجاب: لو
احترق مخزن الحبوب لكنا احترقنا جميعاً
بثورة الغضب، أحرقنا مرتزق وبقيت أنا

وأنت ليأخذ أهالي الخضراء ما يريدون،
رحلتى معهم طويلة، حسابى معهم لم ينته
بعد، خسرت هذه الجولة لكننى لم أهزم
إلى الأبد.

Bibliotheca Alexandrina



0385459

500 درهم ليبي أو ما يعادله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 45594 - 45565 - 40705

مبرق: GREEN BOOK 20668 - 20032

ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية